

صيد الخاطر

370 - - فصل : العبث على الله محال .

قد تكرر معناه في هذا الكتاب إلا أن إعادته على النفوس مهمة لئلا يغفل عن مثله .
ينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله سبحانه مالك حكيم لا يعبث و هذا العلم يوجب نفي الاعتراض
على القدر .

و قد لهج خلق بالاعتراض قدحا في الحكمة و ذلك كفر .

و أولهم إبليس في قوله : { خلقتني من نار و خلقتني من طين } .

و معنى قوله : أن تفضيلك الطين على النار ليس بحكمة .

و قد رأيت من كان فقيها دأبه الاعتراض .

و هذا لأن المعترض ينظر إلى صورة الفعل و لو أن صورة الفعل صدرت من مخلوق مثلنا حسن أن
يعترض عليه .

فأما من نقصت الأفهام عن مطالعة حكمته فإعتراض الناقص الجاهل عليه جنون .

فأما إعتراض الخلقاء فدائم لأنهم يريدون جريان الأمور على أغراضهم فمتى إنكسر لأحدهم
إعتراض .

و فيهم من يتعدى إلى ذكر الموت فيقول : بنى و نقص .

و كان لنا رفيق قرأ القرآن و القراءات و سمع الحديث الكثير ثم وقع في الذنوب و عاش
أكثر من سبعين سنة فلما نزل به الموت ذكر لي انه قال : [قد ضاقت الدنيا إلا من روي] .

و من هذا الجنس سمعت شخصا يقول عند الموت : ربي يظلمني و هذا كثير .

و يكره أن يحكى كلام الخلقاء في جنونهم و إعتراضاتهم الباردة .

و لو فهموا أن الدنيا ميدان مسابقة و مارستان صبر ليبين بذلك أثر الخالق لما إعترضوا .

و الذي طلبوه من السلامة و بلوغ الأغراض أمامهم لو فهموا .

فهم كالزور جاري يتلوث بالطين فإذا فرغ لبس ثياب النظافة .

و لما أريد نقص هذا البدن الذي لا يصلح للبقاء نحيث عنه النفس الشريفة و بني بناء يقبل
الدوام .

و بعد هذا فقل للمعترض : { فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما
يغيظ } .

قل له : إن إعترض لم يمنع ذلك جريان القدر و إن سلم جرى القدر فلأن يجري و هو مأجور
خير من أن يجري و هو مأزور .
و ما أحسن سكوت وضاح اليمن لما إختبأ في صندوق فقال السلطان : [أيها الصندوق إن كان
فيك ما نطن فقد محونا أثرك] .
و إن لم يكن فليس بدفن خشب من جناح .
فلو أنه صاح ما إنتفع بشيء و لربما أخرج فقتل أقبح قتلة